'Ali Yusuf

رد

سعادة الشيخ علي يوسف

صاحب جريدة المؤيد

على خطبة

اللورد كرومر

التى ألقاها فى حفلة وداعه المرؤوسة بعطوفة

مصطفى باشا فهمى

رئيس الوزارة المصرية بالاوبرا الخديوية يوم السبت ٤ مايو

سنة ١٩٠٧ الساعة ٦ مساء

لطابعها

حسين تيمور

١٣٢٢

ترسل مجانا لكل من يطلبها بالعنوان الآتي

(حسين تيمور بمصر)

(طبع فى مطبعة الواعظ بشارع درب الجماميز بمصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه ورسوله
(اما بعد) فقد كانت خطبة اللورد كرومر التي القاها في
حفلة وداعه بالاوبرا الخديوية يوم السبت ٤ مايو فيها من
المنامز والتصاريح مايؤلم كل واحد من الامة المصرية وكان
رد سعادة المفضال الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد
الاغر عليها الذى نشره بمؤيد يوم الثلاثاء ٧ مايو سنة ١٩٠٧
اقطع برهـان واصدق دليل على تفنيدهـا حتى حدثت له
ضجة عظيمة في جميع القطر بل وفي العالم الاوربي بأسره وانه
هو الحجة البالغة للمصريين على كفاءتهم واستعدادهم الى
الفضائل مما جعل الامم الاخرى تقدرهم حق قدرهم

فاردت أن اقوم بواجب وطني اجلالا لهذا الرد وصاحبه واقرارا بما له من الفضل على مصر وهو طبعه وحده متبوعا بتلغراف ارسله حضرة الفاضل العظيم السيد محمد موسى العقاد الى اللورد كرومر يوم سفره ببورت سعيد ملحقا بمقالة له نشرت في جريدة اللواء يوم الثلاثاء ٧ مايو ايضاً وقد رأيت ان ابعثه مجانا لكل من يطلبه بالعنوان الذى على غلافه فمن شاءه فليتفضل بالطلب وله الشكر

حسين تيمور

بمصر

حفلة الوداع

وخطبة اللورد كرومر

تقفون والفلك المحرك دائر وتقدرون فتضحك الاقدار

وقف الخطباء مساء السبت الماضى موقف الممثلين فى دار التمثيل الكبرى (الاوبرا الخديوية) يحكمون على الماضى والمستقبل حكم الاقدار فى الكائنات . يبرمون وينقضون ويرفعون ويخفضون والناس يسمعون مختارين أو مكرهين لان فرسان ميدان الخطابة كانوا ثلاثة لا يزيدون ولا ينقصون ولو أن الموقف كان حراً لكل قائل لسمعوا ما يكرهون كما قالوا ما يحبون

قلنا انهم وقفوا موقف الممثلين لانهم كذلك فى حقيقة الواقع وقد مثلوا آخر فصل من رواية كثيرة الحوادث عديدة الفصول طويلة الزمان بطل وقائعها وفارس معمعانها ذلك الذى

كان آخر الخطباء فى الحفلة كلاماً وأشدهم ايلاماً وأكثرهم آلاماً .

وقف ليمثل آخر سلطة له فى هذه الديار ولسان حاله يقول

« مافى وقوفك ساعة من باس »

مثلها فى مكان هو أليق ما كان عظة لقائل ومظهراً لسلطان راحل ومجد زائل وأصدق ماضرب له من الامثال

« لكل مقام مقال »

وقبل أن نذكر شيأ عن الخطباء وخطبهم يجدر بنا أن نذكر شيأ عن هذا الاسلوب الذى اختير من أساليب الوداع ولماذا فضلت حفلة الاوبرا على المأدبة التى كان يراد عملها فى أول الامر؟؟ . فضلت لان القوم لم يريدوا من مظهر اكرام الرجل الراحل اكراما معتاداً فى مثل هذا المقام ولكنهم أرادوا مظاهرة سياسية اساسها سلطة الحكومة وأساطينها قوى الاحتلال بعيدة عن الامة والامة بعيدة عنها . وقد بالغوا فيها ما شاؤا وما استطاعوا أن يبالغوا فى هذه المظاهرة بقصد أن يذهب من نفوس المصريين كل أثر للظن بأن اللورد مستقيل لاسباب

سياسية وحتى يستقر فيها ان اعتلال صحته هو الباعث الاول بل والآخر على استقالته من وظيفته ولو أنهم أحسنوا الصنيع معه لتركوا هذه المظاهرات التي حملت كل الناس بكل ماجري فيها على فهم ان الرجل راحل طبق المثل «مكره اخاك لا بطل»

وفوق هذا انهم لسوء الحظ لم ينجحوا فى القيام بالمظاهرة السياسية كما ارادوا منها بل فشلوا فى تكوينها من الامة وقد حاولوا ذلك بواسطة سلطة الحكومة المخلوطة بقوى الاحتلال وانعكست الآية عليهم فلم يكن من الوطنيين فى هذه المظاهرة سوى نفر قليل يعرفون بسيماهم ويكادون يعدون على اصابع اليدين والرجلين وسوى رجال الحكومة الذين هم صنائع اللورد الذين يمن هو عليهم بوجودهم فى هيكلها. ولم يكن من الاوربيين سوى بعض الرجال الرسميين ونفر ممن حسنت حالهم على يد اللورد بمناسبات شتى أو ممن جذبتهم جاذبية حب الظهور فوق المراسح والحشر فى غمرات المجامع من النقيض الى النقيض وما أكثر المتحذلقين لذلك بين الناس

***

كان الداعي لهذا الاحتفال باسمه من اول الامر صاحب العطوفة رئيس النظار وهذا نص الدعوة التي وزعت على كبراء السراة والاعيان ليكونوا من اعضاء اللجنة العاملة . ونحن نذكر هنا نص ورقة الدعوة الاولى بعنوانها الان الكتاب يقرأ من عنوانه . وهو بحروفه

« احتشاد للاحتفال بجناب اللورد كرومر »

جار تشكيل لجنة تحت رئاسة صاحب العطوفة مصطفى باشا فهمي للقيام بمظاهرة نحو جناب اللورد كرومر بمناسبة قرب رحيله من القطر المصري وللاقرار فيما بعد على الطريقة المؤدية لتخليد أثر جنابه وقد تقرر القاء خطبة تتضمن تقديم الشكر لجنابه في بهو تياترو الاوبرا الخديوية في يوم السبت ٤ مايو القادم . وقد كلفتني اللجنة بأن أرجوكم التكرم بافادتي عما اذا كنتم تقبلون اضافة اسمكم الكريم الى الاسماء المدرجة بالقائمة المرفقة بهذا

سكرتير اللجنة
يورك
بنظارة المالية

في ٢٥ ابريل سنة ٩٠٧
العنوان المستر يورك

بعث بهذه الدعوة الى المئات من كبار الوطنيين والاجانب

ولم يترك المدعوين احراراً يجيبون اولا يجيبون بمحض ارادتهم واختيارهم بل كان الكثيرون من رجال الحكومة وأصحاب السلطة العالية فيها يذهبون بأنفسهم لبعض المدعوين او يرسلون رسلهم اليهم يلحون عليهم كل الالحاح بالقبول. ومع كل ما بذلت الحكومة بعناصرها المختلفة لم يشترك في لجنة التأسيس من سراة الوطنيين غير الموظفين ونحو بضعة عشر شخصا بعضهم ممن عرفوا اللورد شخصيا ودامت بينهم وبينه صلة التزاور لتكافؤ في المقام الذاتي وبعضهم ممن غمرهم اللورد بفضله يدا بيد وبعضهم لا في العير ولا في النفير ولكنهم ليعرفوا في أمثال هذه المظاهرة على ولاء للمحتلين وأحدهم مثل كيف وجدت في اللجنة ولست على شاكلة أعضائها مكانة أو جاها فأجاب على ملأ من الناس «كنت على وشك أن أعزل من وظيفتي منذ أشهر فلم يحفظني فيها سوى اشارة جاءت الى الحقانية من جانب اللورد فلماذا لا أعرف له هذا الجميل»

واذا كان ما بذل من الجهد والعناء في سبيل الوصول

الى الغرض وهو المعيار الحقيقي للفوز أو الفشل فان مابذلته الحكومة وعناصرها المختلفة فى سبيل جعل هذه المظاهرة السياسية ممثلة للامة المصرية بحذافيرها وعنوانا كاملا على قدر شكر الامة للرجل الراحل جاء دليلا على أن الفشل كان أعظم ما يمكن أن يقدر لعمل العاملين . وعلى هذا القياس كان الفشل أيضا فى الدعوة العمومية لحضور غير المشتركين فى الاحتفال اياه فان بعض المديرين كانوا يسوقون الاعيان سوقا الى القاهرة ويصحبونهم بالرسل فى مجيئهم حتى اذا جاؤا اليها أبى أكثرهم الخروج من الفنادق التي نزلوا بها ايلة الاحتفال

ولا تفسير لذلك الفشل العظيم وهذا الاباء الذى عم المدن والقرى الا أن اللورد ولو أنه أحسن كثيرا فى هذه البلاد فقد أساء كثيرا فيها وكانت سيئاته الكبري فى أخريات أيامه فلم ينسها الناس لانه لم يترك فى جعاب تقريره الاخير سهاما مؤذية الا سددها نحو مصر والمصريين وفى مبادئهم وعقائدهم والذكرى تغلب بالسيء من الاقوال والعبرة بالخواتيم من الاعمال

اما الاحتفال نفسه فلم يكن مظاهرة سياسية لا كرام الرجل عند رحيله كما ارادوا ولكنه انقلب بما جرى فيه مظهراً عدائياً من اللورد لم ير الراؤون ولم يرو الراوون مثله في مقام وداع كهذا المقام

دعنا من كون رئيس الاحتفال أخطأ في أنه لم يكن المتكلم الاول وماعرف حتى الآن ان رئيس احتفال ورئيس وزراة مما يقدم عليه سواه في الكلام . ودعنا من كونه خطب بالفرنساوية ولم يجعل للغة البلاد نصيباً من كلامه في احتفال كهذا . ودعنا من زعمه أنه يمثل مع الحكومة في موقفه السواد الاعظم من الامة المصرية والسواد الاعظم يخالفه في الرأي والقول . ودعنا من كون الكونت دي سربون يتكلم عن فئة من الاوروبيين بما تشعر من حسنات الاحتلال عليها او هو اراد انجاح السفارة الانكليزية بباريس في وساطة له لدى حكومة الجمهورية بعد ما حالت هذه الحكومة دون انعام ملك اسبانيا وكل انعام تلاه من الدول الاجنبية عليه وهو ينتظر اللجيون دي نور بصبر نافد

دعنا من كل هذا وانظر خطة اللورد السياسية التي جعلها بمثابة وصيته الاخيرة وخاتمة اعماله في مصر

فبينما كانت الامة المصرية واقفة موقف الا مل منتظرة من ذلك الراحل العظيم والشيخ الحكيم ان يصلح ما فرط منه نحو الشريعة الاسلامية بما قضى عليها من الجمود الابدى ونحو الامة المصرية بما وصفها به من العقم السرمدى . بينما هى ترجو من جنابه ان يغتنم هذه الفرصة السانحة ليأسو الجراح التي جرحها و يضمد الكلوم التى فتحها فى جسمها بما تقدم و بما اراد ان يجعل وطنيها اعجوبة بين الوطنيات وجامعتها كشكولا بين الجامعات . و بينما كان سمو امير البلاد يتعطف و يتلاطف و يبالغ فى اكرام الراحل عند رحيله متناسيا الحزازات السياسية التى طالما كان اللورد مهاجما فيها غير عادل ولا متلطف

بينما كان كل هذا اذا ببركان « البير وقراطية » التى نشأ عليها اللورد ومارسها كل حياته حتي برز فيها اكثر من كل مبرز من تواريخ الحكومات المطلقة قد انفجرت نيرانه وقذف باظاه على الاحياء والاموات

وقف اللورد خطيباً وهو يدافع كيد السقام ويجاذب دافع الحصام فخال فى خاطره انه مفارق قصرا تجرى من تحته الانهار وملكا خضع له فيه الليل والنهار وتارك خصوما قد يتوهمون انهم نازلوه فغلبوه او يتوهم هو انه حالهم فاغضبوه

وقف اللورد وله نفسان نفس نزاعة الى حب البقاء وأخرى تقول كيف البقاء بعد الاستعفاء

وقد ذكر أصدقاءه القليلين كما يعلم واعداءه الكثيرين كما تقدم فسر وساء وترخص وتشدد وعدد وندد ووعد وتوعد وأرغي وأزبد وحذر وأنذر وحكم وقدر

ربما أخرج الحزين جوى الحز
ن الى غير لا ئق بالسداد
مثلما فاتت الصلاة سليما
ن فانحي على رقاب الجياد

وقف اللورد خطيباً راحلا عن بلاد أقام فيها اكثر سنى حياته فظن الناس انه محسن وداعه لما ذاكر جميل اهلها معه فى ماضيه الطويل ليذكروا جميلهم معه بعد فراقه فاذا هو

قد جمع في ساعة واحدة كل اغلاطه الماضية ومثل في هذه الساعة الزائلة كل مظاهر السلطة والاستبداد التي عرفت عنه وزاد عليها اضعاف اضعافها

وعجيب ان الانسان يقدر ان يسيء الى امة باسرها في ماضيها وحاضرها واحيائها وامواتها كما فعل جناب اللورد في ساعة وداعه . فانه في هذه الساعة بل في نصف ساعة بالتحديد طعن على امير البلاد طعنا جارحا لعواطف الامة كما طعن على بصائرها فقال انهم «عميان» ومجد سكرتيره المستر فندلي الذي نقل من مصر بعد ما اساء للامة في حادثة دنشواي المحزنة اعظم اساءة مشيراً الى انه عمل فيها انفع عمل مع انه هو الذي رمي الامة بالتعصب ورمي جرائدها بارتكاب الرشوة كذبا

طعن اللورد في ساعة على الاحياء والاموات فرشق المرحوم اسماعيل باشا وهو في قبره بسهام جارحة كان الامير حسين باشا نجله الاكبر في غنى عن سماعها لولم يتفضل بحضور الاحتفال بوداعه . هذا الامير الجليل الذي والى جناب

اللورد بالصداقة زمنا طويلا وخصه باحترامه دائما وكان له في عهده اعظم اثر في خدمة البلاد معه خدمة حقيقية بأخذه الجمعية الزراعية الخديوية تحت رئاسته وبذل عنايته الجليلة فى ترقية شؤونها بنفسه وماله ومع ذلك لم ير اللورد انه خليق بكلمة ثناء يوجهها اليه في جنب ما وجه من عبارات الثناء لغيره من الاحياء والاموات

لم يكتف اللورد فى ان يجبه الامراء من العائلة الخديوية جهاً فى « اسماعيل » بل قال عن المرحوم « توفيق » قولا اشبه بالمدح فى اسلوبه وهو عين الهجاء . قال عنه « انه لم يكن يشترك كثيراً فى امور اصلاح مصر » واثنى عليه بأنه كان بذلك يعرف قدره ومركزه تعريضا بالجناب العالي الخديوي الذى لم يكفه منه هذا التعريض بل طعن عليه بعد ذلك طعنا صريحا وكاد يسبه سبا

خص اللورد اشخاصا معدودين بثنائه فذكر اولهم الطيب الذكر نوبار باشا ولكنه لم يذكر اثراً طيبا له يستحق به هذا الثناء سوى انه كان المخطط الاول لخطة تعديل نظام الامتيازات

الاجنبية . ولكن الخطيب لو انصف الرجل في قبره لقال ان مشروعه في تعديل الامتيازات كان مخالفا لهذا المشروع الجديد لان نوبار باشا انما كان يطلب تعديلها باعطاء المحاكم المختلطة سلطة الحكم في الجنايات والجنح كما طلبت الجمعية العمومية منذ سنين وكان اشد الناس اعتراضا له في طريق نجاح هذا المشروع اللورد كرومر الذي يزعم اليوم انه متمم عمله العظيم

ذكر بعد ذلك رياض باشا واطرى شجاعته التي اشتهر بها في زمن اسماعيل باشا قائلا ـ انه علق الجرس بعنق الهر ـ ومغزى هذا المثل أنه لم يكن يبالي اذ ذاك ان يصيبه مكروه من ذلك المستبد الذي كانت تعنو لهيبته الوجوه ولكن اللورد لم يقل ان رياض باشا لما أراد في زمنه هو ان يعلق الجرس في عنق الهر قطعت هذه العنق وحلف اللورد أن لا يعود الى خدمة الحكومة ما دام هو في البلاد وزاده عقوبة ان رفت ابنه من وكالة الداخلية في اليوم التالي من استقالة ابيه من الوزارة فكان المستبد اسماعيل أخف وطأة

على رياض باشا من المستبد كرومر

ذكر بعد رياض باشا مصطفى فهمي باشا صديق اللورد العزيز الذى كان ينتظر الناس أن يقول عنه ما قال واضعافه. ذلك الصديق العزيز الذى حلف له يوم عاد الى رئاسة النظار فى سنة ١٨٩٥ ان يبقى فيها ما دام حيا وما بقي اللورد فى مصر وقد بر فى يمينه كما بر فى يمينه عن رياض باشا. ولكن الناس لا يحكمون لمصطفى باشا حكم اللورد له فى كل ما قاله عنه بل يقولون عنه انه انكر نفسه وعرف اللورد فاستحق ان يكون سامي المقام في عينيه لا فى عيني الامة المصرية

ذكر بعده بطرس باشا فمدحه بسعة الحيلة العقلية في حل المشكلات وهي كلمة صغيرة جدا فى جنب ماأدي من الخدم الجليلة للبلاد في حل المشكلات بين اللورد والجناب العالى من جهة وبينه وبين قناصل الدول من جهة اخرى

ثم ذكر من بعده سعد باشا زغلول بالمدح والاطراء الكثير ويسرنا أن مدة تجربته كانت قصيرة عند جناب اللورد فصرنا نؤمل ان يدخل فى مناصب الحكومة العليا كثيرون

من امثاله القادرين على العمل بعد ما كان اللورد يتهددنا بأنه ان لم يؤد مدة التجربة بنجاح يضطر الى أن يسلم كل أعمال الحكومة العليا للانكليز ويقول على المصريين فيها السلام

على ان اللورد بعد أن ذكر هؤلاء الثلاثة من النظار أعرض عن ذكر بقية الاربعة الباقين فلم يشر اليهم بأقل أشارة كأنهم ليسوا نظاراً في الحكومة ولا عمل لهم مطلقاً فيها فتساءل الناس . أليس هؤلاء من صنائع اللورد أيضا . أولم يكونوا مثل مصطفى فهمي باشا يخدمون بلادهم بالسكوت عنده أو كما قال هو « بالسكينة والهدو والابتعاد عن التعرض للغير والدخول فيما لا يعني » أو هم كانو على غير هذه الخطة فلم يكونوا محسنين عملا . ان كان الامر كذلك فلماذا هو أبقاهم في مناصبهم مدة اثنتي عشرة سنة لا يعملون عملا يليق أن يذكروا به في مثل هذه الحفلة . تساءل الناس كثيرا عن اغضاء اللورد عن ذكرهم ونحن مثلهم لا نعرف له سببا ولعل حضرات النظار المسكوت عنهم يعرفون هذا السبب

ولقد ذهب بعضهم بهذا الصنيع من اللورد الى أكثر

مما يظن حتى قالت « الجريدة » فى العدد الذى نشرت فيه خطبة اللورد تحت عنوان (تغيير فى الوزارة) ما يأتى - ليس من البعيد أن يحصل تغيير فى رجال الوزارة المصرية يكون من شأنه اسناد بعض النظارات الى رجال مسئولين - كأنما فى بعض النظارات اليوم رجال من الذاهلين أو المتوهمين. ونحن نعرف أنه لا أصل لهذا الخبر الآن ولكن الذى أوجد هذا القيل والقال سكوت اللورد عن بعض النظار فى معرض الحصر والتعداد سكوتا مهيناً أو قريباً من ذلك

وبعد ماقال عن بعض كبار الانكليز مدحاً وثناء واعجابا واطراء عاد الى المصريين فذكرهم بمن الاحتلال عليهم وقال انى لا أصدق ما يقال عنهم من انهم ناكرو الجميل كافرو النعم ولكن اذا صح ما يقال عنهم من هذا القبيل فهو ينتظر شكران نعم الاحتلال من أولاد هؤلاء العميان

وبعد ان رمي المصريين بهذا السهم الجارح انتقل الى بيان (الغرض السياسى) الذى زعم انه كان نصب عينيه منذ تقلد وظيفته فى مصر وهو أن يسعى الى اعادة الاتفاق

الفرنساوى الانكليزى الى ما كان عليه والذى كان يوصي به على الدوام ذلك السياسي الطائر الصيت (غامبتا) قائلا (اياكم وان تقطعوا حبل المحالفة الانكليزية) كذلك هو يوصى قومه اليوم (اياكم وأن تقطعوا حبل الاتفاق الفرنساوي) كأنما اللورد الذى ينسى التاريخ يظن أن جميع الناس ينسون التاريخ مثله فينسون تلك الخشونة السياسية أو الجلافة العسكرية التى كان يقابل السير افان بارنج بها خصومه الفرنساويين فى مصر على الدوام . وأنه كان يحارب النفوذ الفرنساوى في كل مصلحة وفى كل طريق . وانه هو الذى أنحى على العلوم والآداب واللغة الفرنساوية فى مدارس الحكومة المصرية وكانت نبراساً للناشئين وأنه هو الذى أقفل جريدتى الاهرام والبسفور لكونهما فرنسويتين وما عادتا الى الظهور الا بأمر من لندرة وانه وأنه الخ لا حبا فى مصلحة مصر ولكن ليحل محل كل قدم فرنساوية قدما انكليزية وكل شيء فرنساوى مثله انكليزيا لتدخل سياسة الاحتلال على المصريين من كل باب .

يوهم اللورد كرومر أنه كان من أصحاب السعي والعمل لذلك الاتفاق الفرنساوي الانكليزي لمصلحة فرنسا وانكلترا معا في مصر مع انه هو القائم بعد عقد هذا الاتفاق بمشروع الغاء الامتيازات الاجنبية الذي لامعنى له الا ان تصير هذه الامتيازات واسطة من جملة وسائط تقرير السيادة الانكليزية المطلقة على مصر وجميع سكانها . وان هذه الكلمات الحلوة التي يفوه بها تزلفا واسترضاء واستمالة للفرنساويين لاتستر ماوراءها من المقاصد السياسية الكبرى التي هي ضد مصلحة فرانسا كما هي ضد مصلحة بقية الدول ومصر معا

***

أراد اللورد بعد كل ماتقدم أن يعدد منته على مصر والمصريين من الوجهتين المادية والادبية فذكر التقدم المالي اجمالا لعلمه ان الناس يجمعون على الاعتراف بفضله في بابه ثم ذكر التقدم الادبي تفصيلا فأخذ يعدد للناس فصوله قائلا — هل السخرة باقية في مصر؟ هل لعنة الرق لا تزال حالة عليها؟ أليس كل شخص فيها من الامير الى الصعلوك الحقير أمام

القانون سواء ؟ ألم ينشط الناس الى العمل والكسب ؟ أليس صغار الناس يجنون اليوم ثمار كدهم ؟ .. الخ الخ

وقد فات اللورد أن حكومة مصر كانت قد قررت قرارها في امر العونة قبل الاحتلال وكانت سائرة في طريق التنفيذ . وان اول معاهدة للرق كانت بينها وبين انكلترا قبل عهد اللورد بسنين . وان النظامات القانونية التي سوت بين الامير والحقير في النهاية لم يضع أساسها في مصر اللورد ولا قومه . وان الناس نشطوا الى الكسب والعمل وأخذوا يجنون ثمار اعمالهم من يوم بدىء برفع اثقال الضرائب الشاذة عن كواهلهم وان ما رفع من هذه الاثقال في سنتي ٨٠ و ٨١ قد بلغ أكثر من مليوني جنيه مع ان ما رفع من هذه الاثقال في زمن الاحتلال كله لم يزد عن ٦٠٠ الف جنيه سنويا وان كل شيء كان سائرا بطبيعته الى التحسين والكمال بحيث لو لم يكن في البلاد احتلال لما وقفنا عند ذلك الحال الذي تركنا عليه الخديو الاسبق وهب ان ما وصلنا اليه في عهد ٢٥ سنة كنا مدركيه في مدى ثلاثين مثلا فالتقدم حاصل.

بطبيعة الوجود وسنة الارتقاء فى الاعمال . ولكن الارتقاء الادبى لم يكن يبقي واقفا عند الحد السلبي الذي من علينا به اللورد كرومر فان هذه الوجوه التى ذكرها سلبية أى من لوازم رفع اشياء نشأ عن رفعها عدم وجود لوازم ما قبلها لا ايجابية كبث أنوار العلوم فى البلا وكتأهيل المصريين لان يحكموا أنفسهم بأنفسهم وهما العاملان القويان فى ترقية الامم من الوجهة الادبية . فاما ما يوجد فى البلادالآن من هذين النوعين فمن عمل الشعب لا من عمل الاحتلال ولا من تشجيعه فالاندفاع فى طريق التعلم وتحصيل المعارف للذكور والاناث ليس من عمل الاحتلال الذى لو استطاع از يوقف هذا التيار القوى المتدفق فى وادى النيل من رغبات اهله لفعل . وان الميل الشديد الى العمل والكسب والاشتغال بالمهن الحرة وما اشبه ذلك مما يعد من قبيل تأهيل المصريين للارتقاء الذاتى انما جاء كله من طبيعة قوة احتكاك الاقوام النازلة فى البلاد وتشعب طرق العمل فيها لا بعمل الانكليز ولكن بواسطة قوة الامتيازات التي جعلت الاجانب من كل

امة فيها اسوة الانكليز فى العمل والكسب ولو استطاع هؤلاء أن يقطعوا طريق الكسب على النزلاء سواهم ليحصروه فى انفسهم لما تأخروا طرفة عين

وهل ينسى أحد في البلاد خطة اللورد كرومر فى التعليم وسياسته العملية فى نظارة المعارف التي حصرها فى أمرين : نشر التعليم الابتدائي البسيط بقدر الامكان ، وقصر التعليم الوسط والعالى معا على غرض واحد هو ان يصنع من الناشئة المصرية القدر اللازم لوظائف الحكومة فقط

***

أراد اللورد بعد هذا كله ان يحيي الامة المصرية بكلمتين . احداهما موجهة لاميرها المعظم والاخرى موجهة اليها بالذات ليدلها على مستقبلها

استطرد من ذكر الارتقاء الادبي الى التعليم العالى الى ذكر الجناب العالى الخديوى فبعدان اشار الى كل الذين شاركوه فى العمل وساعدوه على ترقية البلاد من الاحياء والاموات وقد انتظر سامعوه أن يأتى على ذكر امير البلاد بما يليق له

من التجلة والاعظام وبالقسط الذي يناسبه من الثناء والاطراء على ما جرى بواسطته وعلى يديه من الاعمال التي تعزى الى عهد الاحتلال وكلها باوامر من الجناب العالي وبمشاركة له محسوسة في العمل ، بينما كان الناس ينتظرون أقواله عن سموه اذا هو قد خرج من ذكر نعم الاحتلال على مصر الى التهكم على أمير البلاد وتقريعه بعبارة مملوءة بالاحقاد وخالية من كل ذوق وأدب

ذكره بالحديث الذي نشرته جريدة الطان في الشهر الماضي عن سموه وكأنه لم يعرف للجناب العالي عملا في مصر ولا شأناً يعرف به سوى ذلك الحديث

ذكر اللورد نظارة المعارف وأمله العظيم في ارتقائها وتقدمها على يدي ناظرها الجديد ومستشارها العنيد ثم قال « لا سيما وقد نزل بالامس الى الميدان حليف كفء عالي الشأن فاني قرأت منذ برهة يسيرة حديثاً جرى لسمو الخديو مع مكاتب احدى الجرائد الفرنساوية » ثم اشار الى بعض ما تضمنه ذلك الحديث وخرج منه الى ذلك

التهكم المسيء بل الى ذلك الطعن الصريح الذى كاد يكون سبابا .
مضي على الجناب العالي الخديوى جالسا على عرش أجداده العظام خمسة عشر عاما وكسرا يرأس مجلس النظار ويناقش اللورد ويجادله فى المشروعات ولا يظهر منها الا ما يوافق عليه وكم له من وقفة حالت دون اخطار كبار . مضى عليه ذلك الامد الطويل وهو يصدر الاوامر العلية على كل نظامات القضاء والادارة والمالية . تو جاعمل المصلحين الذين يستمدون السلطة الشرعية منه بامضائه الشريف . مضى عليه ذلك العهد المديد وهو يعلم الناس كيف يتقدمون شأنا ويسبقون شأوا فى الاعمال الزراعية والمشروعات الاقتصادية الكبري باحياء الموات من الاراضى الواسعة واستثمارها حتى أنه احيا بجانب من الصحراء تؤسس اليوم فيها حكومة محلية شاسعة الاطراف وسيكون لعمله العظيم فى استثمار ما بين مريوط ومرسى مطروح أعظم ذكري تاريخية . الخ الخ . ولكن جناب اللورد لم يكتشف وجود الجناب العالى فى مصر الا من ذلك الحديث الذى اطلع عليه صدفة فى بعض الصحف

الفرنساوية وما كاد يذكر اسمه الكريم بعد هذا الاكتشاف حتى عيره بالفضائح التى تجرى بين يديه فى ديوان الاوقاف قائلا ان سموه قادر على ان يبطل هذه الفضائح في الديوان وأن يطهره من الادران المفسدة للآداب والاخلاق

وان الذى يسمع هذا يخيل له امران : الاول أن ديوان الاوقاف ليس الا قارورة أقذار تزكم بروائحها المنتنة خياشيم المارة عليه ومصدر فضائح لا تقف عند حد الرشوة المفسدة للاخلاق بل هناك أدران تفسد الآداب العمومية أيضاً . ولا ندرى ما الذى كان يمكن أن يعبر به اللورد لو حاول أن يصف مواخير الفسق والفجور بأ كثر مما عبر به عن ديوان الاوقاف . والثاني ان الذى يسمع قوله هـذا يتوهم أن بين رجال الاحتلال وأعمالهم وبين ديوان الاوقاف الف حاجز حصين مانعة لهم من الاطلاع على ما يجرى فى ذلك الديوان والاقتراب منه لاصلاحه

ولكن هل استطاع اللورد أن يذكر لنا ما هى تلك الفضائح والأدران المفسدة للاخلاق والآداب العمومية في

ديوان الاوقاف العمومية بأكثر ممايشاع عن نظارة الاشغال والصحة العمومية مثلا . أليس كل مايقال عن ديوان الاوقاف أن فيه بعض موظفين يتهمون بالرشوة ؟ أليس هذا القول نفسه هو الذى قيل و يقال بأكثر منه عن تينك المصلحتين؟

ألم يشع قبل عشر سنوات أن أموال الاوقاف تصرف في سبيل الرسالات السياسية فى أوروبا وتعطى منها المرتبات لمصطفى كامل واضرابه . وقد اتخذ اللورد تلك الاشاعات ذريعة الى التداخل فى شؤون الاوقاف؟

ألم يتقرر لنظارة المالية من سنة ١٨٩٥ أن تشرف بسبب تلك الاشاعات على ديوان الاوقاف وتراقب حسابات دخله وخرجه ؟ .

ألم يمعن النظر و يدقق البحث موظفو نظارة المالية في دفاتر الاوقاف و يقابوا أوراقها ظهراً لبطن حتي يروا مسوغا لتلك الاشاعات الباطلة فلم يجدوا شيئاً ؟ ألم تضع نظارة المالية طريقة لضبط حسابات الديوان موردا ومصرفا قد جرى عليها العمل بعد ذلك الي الآن تحت مراقبة النظارة واشرافها؟

ألم تنسخ الطرق القديمة لحسابات الاوقاف المختلفة وتستبدل بطرق أخرى من عمل نظارة المالية قد وحدتها بقدرما يجيز الشرع الشريف توحيدها ؟

فاذا كان الامر كذلك فى الديوان فما هى اذن تلك الفضائح التى يلوكها اللورد بلسانه و يملأ بها ماضغيه ؟

ألم يعن الجناب العالى الخديوى بانتخاب خير الرجال وانزههم لتعيينهم مديرين للاوقاف العمومية تاركالهم الحرية المطلقة في انتخاب العمال واختيارهم على طريقة انتخاب الاصلح فالاصلح من كل وجه ؟

ألم يكن المدير السابق لعموم الاوقاف ذلك الرجل العامل النزيه عدلى باشا يكن وقد أصلح ما أراد وقدر عليه فى طبقة العمال وانتخب المفتشين من المشهورين بالعفة والنزاهة

ألم يكن المدير الخلف لهذا الديوان ذلك العالم العامل النزيه المستقل حسين رشدي باشا الذى كانت تضرب بعدله وفضله الامثال في القضاء

***

امة فيها اسوة الانكليز في العمل والكسب ولو استطاع هؤلاء أن يقطعوا طريق الكسب على النزلاء سواهم ليحصروه في انفسهم لما تأخروا طرفة عين

وهل ينسى أحد في البلاد خطة اللورد كرومر في التعليم وسياسته العملية في نظارة المعارف التي حصرها في أمرين : نشر التعليم الابتدائي البسيط بقدر الامكان ، وقصر التعليم الوسط والعالى معا على غرض واحد هو ان يصنع من الناشئة المصرية القدر اللازم لوظائف الحكومة فقط

***

أراد اللورد بعد هذا كله ان يحيي الامة المصرية بكلمتين . احداهما موجهة لاميرها المعظم والاخرى موجهة اليها بالذات ايدلها على مستقبلها

استطرد من ذكر الارتقاء الادبي الى التعليم العالى الى ذكر الجناب العالى الخديوى فبعدان اشار الى كل الذين شاركوه في العمل وساعدوه على ترقية البلاد من الاحياء والاموات وقد انتظر سامعوه أن يأتي على ذكر امير البلاد بما يليق له

من التجلة والاعظام وبالقسط الذي يناسبه من الثناء والاطراء على ما جرى بواسطته وعلى يديه من الاعمال التي تعزى الى عهد الاحتلال وكلها باوامر من الجناب العالي وبمشاركة له محسوسة في العمل ، بينما كان الناس ينتظرون أقواله عن سموه اذا هو قد خرج من ذكر نعم الاحتلال على مصر الى التهكم على أمير البلاد وتعريبه بعبارة مملوءة بالاحقاد وخالية من كل ذوق وأدب

ذكره بالحديث الذي نشرته جريدة الطان في الشهر الماضي عن سموه وكأنه لم يعرف للجناب العالي عملا في مصر ولا شأنا يعرف به سوى ذلك الحديث

ذكر اللورد نظارة المعارف وأمله العظيم في ارتقائها وتقدمها على يدى ناظرها الجديد ومستشارها العنيد ثم قال « لا سيما وقد نزل بالامس الى الميدان حليف كفء عالي الشأن فاني قرأت منذ برهة يسيرة حديثا جريئا لسمو الخديو مع مكاتب احدى الجرائد الفرنساوية » ثم اشار الى بعض ما تضمنه ذلك الحديث وخرج منه الى ذلك

التهكم المسيء بل الى ذلك الطعن الصريح الذى كاد يكون سباباً.

مضي على الجناب العالي الخديوى جالسا على عرش أجداده العظام خمسة عشر عاما وكسراً يرأس مجلس النظار ويناقش اللورد ويجادله فى المشروعات ولا يظهر منها الا ما يوافق عليه وكم له من وقفة حالت دون اخطار كبار. مضى عليه ذلك الامد الطويل وهو يصدر الاوامر العلية على كل نظامات القضاء والادارة والمالية ويتوج اعمال المصلحين الذين يستمدون السلطة الشرعية منه بامضائه الشريف. مضى عليه ذلك العهد المديد وهو يعلم الناس كيف يتقدمون شأناً ويسبقون شأواً فى الاعمال الزراعية والمشروعات الاقتصادية الكبري باحياء الموات من الاراضى الواسعة واستثمارها حتى أنه احيا بأنبأ من الصحراء تؤسس اليوم فيها حكومة محلية شاسعة الاطراف وسيكون لعمله العظيم فى استثمار ما بين مربوط ومرسى مطروح أعظم ذكري تاريخية. الخ الخ. ولكن جناب اللورد لم يكتشف وجود الجناب العالى فى مصر الا من ذلك الحديث الذى اطلع عليه صدفة فى بعض الصحف

الفرنساوية وما كاد يذكر اسمه الكريم بعد هذا الاكتشاف حتى عيره بالفضائح التي تجرى بين يديه فى ديوان الاوقاف قائلا ان سموه قادر على ان يبطل هذه الفضائح في الديوان وأن يطهره من الادران المفسدة للآداب والاخلاق

وان الذى يسمع هذا يخيل له امران : الاول أن ديوان الاوقاف ليس الا قارورة أقذار تزكم بروائحها المنتنة خياشيم المارة عليه ومصدر فضائح لا تقف عند حد الرشوة المفسدة للاخلاق بل هناك أدران تفسد الآداب العمومية أيضاً . ولا ندرى ما الذى كان يمكن أن يعبر به اللورد لو حاول أن يصف مواخير الفسق والفجور بأ كثر مما عبر به عن ديوان الاوقاف . والثاني ان الذى يسمع قوله هـذا يتوهم أن بين رجال الاحتلال وأعمالهم وبين ديوان الاوقاف الف حاجز حصين مانعة لهم من الاطلاع على ما يجرى فى ذلك الديوان والاقتراب منه لاصلاحه

ولكن هل استطاع اللورد أن يذكر لنا ما هى تلك الفضائح والأدران المفسدة للاخلاق والآداب العمومية في

ديوان الاوقاف العمومية بأكثر مما يشاع عن نظارة الاشغال والصحة العمومية مثلا . أليس كل مايقال عن ديوان الاوقاف أن فيه بعض موظفين يتهمون بالرشوة ؟ أليس هذا القول نفسه هو الذى قيل و يقال بأكثر منه عن تينك المصلحتين؟

ألم يشع قبل عشر سنوات أن أموال الاوقاف تصرف في سبيل الرسالات السياسية فى أوروبا وتعطى منها المرتبات لمصطفى كامل واضرابه . وقد اتخذ اللورد تلك الاشاعات ذريعة الى التداخل فى شؤون الاوقاف؟

ألم يتقرر لنظارة المالية من سنة ١٨٩٥ أن تشرف بسبب تلك الاشاعات على ديوان الاوقاف وتراقب حسابات دخله وخرجه ؟ .

ألم يمعن النظر و يدقق البحث موظفو نظارة المالية في دفاتر الاوقاف و يقلبوا أوراقها ظهراً لبطن حتي يروا مسوغا لتلك الاشاعات الباطلة فلم يجدوا شيئاً ؟ ألم تضع نظارة المالية طريقة لضبط حسابات الديوان موردا ومصرفا قد جرى عليها العمل بعد ذلك الي الآن تحت مراقبة النظارة واشرافها؟

ألم تنسخ الطرق القديمة لحسابات الاوقاف المختلفة وتستبدل بطرق أخرى من عمل نظارة المالية قد وحدتها بقدرما يجيز الشرع الشريف توحيدها ؟

فاذا كان الامر كذلك فى الديوان فما هى اذن تلك الفضائح التى يلوكها اللورد بلسانه ويملأ بها ماضغيه ؟

ألم يمن الجناب العالى الخديوى بانتخاب خير الرجال وانزههم لتعيينهم مديرين للاوقاف العمومية تاركا لهم الحرية المطلقة في انتخاب العمال واختيارهم على طريقة انتخاب الاصلح فالاصلح من كل وجه ؟

ألم يكن المدير السابق لعموم الاوقاف ذلك الرجل العامل النزيه عدلى باشا يكن وقد أصلح ما أراد وقدر عليه فى طبقة العمال وانتخب المفتشين من المشهورين بالعفة والنزاهة

ألم يكن المدير الخلف لهذا الديوان ذلك العالم العامل النزيه المستقل حسين رشدي باشا الذى كانت تضرب بعدله وفضله الامثال في القضاء

* * *

فكيف سوغ اللورد لنفسه وهو رجل شريف مؤدب ان يقول عن ديوان الاوقاف مالا يقال أفظع منه عن مواخير الفسق وحانات الفجور لا لسبب غير كون الاوقاف مصلحة اسلامية صرفة

عير اللورد الجناب العالى الخديوى بأنه لم يعمل شيأ ما لاصلاح المحاكم الشرعية كأنما هذه المحاكم قلم من أقلام الخاصة الخديوية مع انها تابعة لنظارة الحقانية ولم يمهد ان الجناب العالى وقف فى طريق اصلاح استطاعته وارادته الحكومة لهذه المحاكم . أليس اكبر اصلاح فى هذا الباب يأتى من قبيل انتخاب الاشخاص الذين يتولون العمل والقضاء فى المحاكم الشرعية ؟ . فهل الجناب العالى الخديوى هو الذى ينتخب القضاة والكتاب أم نظارة الحقانية ؟ هل الجناب العالى الخديوى هو واضع لائحة المحاكم الشرعية وتعليمات القضاة والعمال أم تلك النظارة ؟

هل الجناب العالى الخديوى هو الذى يضع درجات القضاة و يقرر مرتباتهم بمثل ما يعطى صغار الحجاب فى المحاكم

الاخرى أم تلك النظارة الخاضعة لارادة المستشار الانجليزي؟

ما اللورد كرومر عند ما ذكر الجناب الخديوى بلسانه عرته حمى الغضب وانتفضت اوداجه بالاحقاد فالفظ من فيه أقوالا لا يحسن بمثله وخصوصاً في مثل موقفه أن يقولها حتى دل الناس على مكنونات صدره من هذا الرحيل الذى هو فاعله بالرغم عنه لا بمطلق ارادته

ألم يكن عند اللورد أسلوب لتحية الامة في شخص أميرها المعظم ألطف من هذا الاسلوب فى وداعه ؟ وهل مثل هذه الكلمات التى لفظها فى آخر موقف له بمصر هى الوصية التي تركها للمصريين يعلمهم بها كيف يتأدبون فى مخاطبة أولياء الامور ؟ وأى فرق بين ما قال اللورد عن الجناب العالى الخديوى وبين ما كان يكتب المقطم فى أسوأ مظاهر وقاحته عنه ؟

لقد حيا اللورد الامة المصرية هذه التحية المؤلمة التى حصبها بها حصباً ثم حياها تحية أخرى موجهة لها بالذات ليدلها بها على مستقبلها فقال : أما الاحتلال الانكليزى فباق فى

مصر الى الابد كأنما اللورد غار من (الزرقاوى) وساءه ما أصاب فى تنجمه عنه فبزه فى نتيجته . أوكأنماهومصرف الاقدار فنطق بما قال واثقا من جبروته وقدرته . وقد غفل عن كون المقادير لا تلقي بأعنتها الى تلك التقارير فانها بيدالله القاهر فوق كل قاهر والقادر فوق عباده يصرفها كيف يشاء لاكما يشاء اللورد وغضبه وحقده

توعد الامة ببقاء الاحتلال خالدا وقال ان بقاءه يستلزم أن تكون الكلمة العليا له فى مصر فلا يظنن المصريون أنهم محررون يوما من رق هذا الاحتلال ولا يرجون أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم فى حال من الاحوال . ثم انذرها بانه واقف لها في انجلترا بالمرصاد يجاهدها و يجالدها فأين هذا من دعواه أنه لم يستقل الا لأن وطأة المرض قد ثقلت عليه وأن الاطباء مانعوه بتاتا من العمل حتي ينجو من مخالب الموت الذى يتهدده آنا فآنا والقارىء لما كتب المقطم نقلا عن الوكالة الانكليزية فى بيان أسباب الاستقالة يوم ورد الخبر يخال له ان الرجل لم يبق بينه وبين حشرجة الموت الا ان يودع بسلام

(تلغراف الى اللورد كرومر)

في بورسعيد

ارسل حضرة السرى الامثل السيد حسن موسى العقاد الى جناب اللورد كرومر حال وصوله الى بورسعيد يوم ٧ مايو سنة ١٩٠٧ التلغراف الآتي

بعد الديباجة

منعني عن تشييعكم سخط الامة وليس لى من القدرة ما لكم على اغضابها فاقبلوا عذري صديقكم القديم

حسن العقاد

وهذا نص مقالة نشرها اللواء الاغر في يوم الاربعاء ٨ مايو سنة ١٩٠٧

﴿ المصريون واللورد كرومر ﴾

بعث الينا سعادة السري الوجيه السيد حسن موسى العقاد بالكتاب الآتي :

« لم يكف اللورد كرومر طعنه في ديننا الحنيف وقدحه في شخصياتنا بتقريره الاخير حتى اغتنم فرصة الاحتفال بتوديعه فقام خطيباً فيه يصف المصريين بالعمى وغيره من النقائص دون حياء من أمة سالمته ربع قرن رعاية لحكومة بريطانيا العظمى »

«وأظن انه بعد ذلك تتحقق حكومته من سوء معاملته للمصريين مما أدى الى شدة نفورهم خصوصا حادثة دنشواي وكان من مصلحة الحكومة المشار اليها انفصاله من وظيفته

من زمن بعيد فان سياسته كلها شدة وغطرسة تأباها الحرية والمدنية الانجليزية كما ان لنا مزيد الامل في الجرائد الانجليزية ان تقدر اخلاقه فتأسف على ما كانت تأتيه من المبالغة في الثناء عليه فان من كانت أخلاقه هكذا فلا يستحق كل هذه العناية خصوصا من كانت أعماله ليست عامية بل تجريبية ولولا أن المصريين حريصون على مصلحة بلادهم القاضية بالهدو والسكينة لما صبروا كل ذلك الصبر فأن أمة تبلغ اثني عشر مليونا من النفوس متفقة الرأى والشعور لا ترضى باستمرار الضيم وفيها رجال لا يخشون في الحق لومة لائم

فارجوكم ترجمة كتابى هذا ونشره بجرائدكم حتي تعلم بريطانيا العظمى شدة تأثرنا من هـذا اللورد وشكرنا لها الجزيل على اختيار انفصاله من بلادنا وتفضلوا الخ ..»

[illegible]
[illegible]
[illegible]
ديوان [illegible]
[illegible]
تاريخ آداب اللغة [illegible]
[illegible]
رسائل [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الطراز
المطالع [illegible]
[illegible]
[illegible]
رنات المثالث
تاريخ [illegible]
[illegible]
[illegible]
الاعتصام
[illegible]
[illegible]
[illegible]